المحاضرة الثامنة

علاقة الحديث الموضوعي ببقية مناهج الشرح الحديثي

المبحث الأول: علاقة الحديث الموضوعي بعلوم الرواية

المبحث الثاني: علاقة الحديث الموضوعي بعلوم الدراية

المبحث الثالث: علاقة الحديث الموضوعي بالحديث التحليلي

سنتحدث في هذه المحاضرة عن علاقة الحديث الموضوعي ببعض المناهج المرتبطة بالشرح الحديثي، وخاصة منها علوم الرواية ثم علوم الدراية، وأخيرا الحديث التحليلي، مع ملاحظة أن الزيان عندما قام بالتنظير للحديث الموضوعي أشار إلى هذه العلاقة حيث تحدث في فرع من فروع بحثه عن "الحديث الموضوعي وفروع علوم السنة النبوية"[1]، لكنه للأسف لم يتعرض إلا إلى علوم الرواية في علاقتها بالحديث الموضوعي مع أنها والحق يقال لا تخدم الحديث الموضوعي إلا قليلا، وهذا ما سنبينه لاحقا.

كذلك الامر بالنسبة لخالد محمود الشرمان الذي اكتفي بالحديث عن "العلوم اللازمة لدراسة الحديث الموضوعي"، وهنا ركز على علوم الرواية حيث بحث الموضوع من خلال ثلاث عناصر هي:1/قواعد وتنبيهات في تصحيح الحديث، 2/الحديث الضعيف في الحديث الموضوعي (مبادئ وقواعد)، 3/علم التخريج ومعرفة طرق الحديث[2]، وواضح وجلي مدى اهتمام هؤلاء المنظرين بعلوم الرواية وعلوم الدراية، مع أن الحديث الموضوعي يحتاج أيما حاجة إلى الحديث التحليلي وجهود علمائنا في الشرح الحديثي.

والملاحظة الجديرة بالتسجيل بعد ذلك هو أن المهتمين بالتنظير للحديث الموضوعي لم يبحثوا هذه المسألة مثل سعاد بيطاط ولا فالح محمد الصغير، أما لطيفة الراشد فقد اهتمت بالمسألة وتوسعت فيها وخرجت عما قدمه الآخرون نوعا ما حيث أشارت إلى الحديث الموضوعي وعلوم السنة وأشارت إلى الحاجة لعلم الحديث رواية، ثم لعلم الحديث دراية، ثم توسعت في الموضوع وأشارت إلى علاقة الدراسة الموضوعية بالعلوم الشرعية واللغة والعلوم الأخرى، وهذا ملحظ جيد في المسألة[3].

المبحث الأول: علاقة الحديث الموضوعي بعلوم الرواية

قبل الولوج إلى لب هذا الموضوع يحسن بنا التعرف على علوم الرواية، فما هي هذه العلوم ولماذا سميت بهذا الاسم؟

يذكر صبحي الصالح الفرق بين علم الحديث رواية ودراية فيقول:"فعلم الحديث رواية يقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم [...] ولكل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين"[4]، والملاحظ البسيط سيظن أن علم الحديث رواية يهتم بالنقل وعلم الحديث دراية يهتم بالتحليل والاستنباط، فمن المفروض حسب هذا التصور أن علم الحديث رواية يختص بالنقل الصحيح وما يتطلبه من النظر في حال الرواة، أما علم الحديث دراية فيبحث في المتن وما يزخر به من المعاني والدروس والأحكام والعبر، لكن علم الرواية الذي يهتم بالنقل والضبط فقط يحتاج إلى علوم أخرى هي النظر في حال الرواة وشروط الرواية وأصناف المرويات وهذه من اختصاص علوم الدراية، وعليه فمسائل التحليل والاستنباط لا تدخل عموما في علمي الرواية والدراية فهي من اختصاص الشرح الحديثي والذي أصبح يطلق عليه الحديث التحليلي.

---

[1] رمضان إسحاق الزيان، **الحديث الموضوعي دراسة نظرية**، ص225.

[2] خالد محمد محمود الشرمان، **الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية**، ص142-150.

[3] لطيفة الراشد، الحديث الموضوعي المنهج والتأصيل والتمثيل، موقع: https://shamela.ws/book/893، من الصفحة 39 إلى الصفحة 42.

[4] صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، ص107.

ولتوضيح الأمر أكثر ننقل ما جاء في موسوعة علوم الحديث وفنونه، سيد عبد الماجد الغوري:"علم الرواية: وهو علم يعلم به أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وتقاريره، وضبطها وروايتها وتحرير ألفاظها"[1]، فهذا العلم من مهامه الضبط وتحرير الألفاظ المروية عن الرسول عليه السلام بالإضافة إلى ضبط وتحرير ما نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.

تقول لطيفة الراشد في حاجة الحديث الموضوعي لعلم الحديث رواية:" حيث اختيار النص النبوي، والعناية والاهتمام باختيار ألفاظه الجامعة المناسبة لموضوع الدراسة من مصادرها الأصلية، والاحتراز في أثناء النقل من الخطأ أو التحريف وَضَبْطِهَا، وَتَحْرِيرِ ألفاظِه"[2]، فهذه المرحلة هي للتأكد من صحة الأحاديث المعتمد عليها في الدراسة الحيثية الموضوعية.

وهنا تذكر علوما يمكن الاستعانة بها منها علوم المتن من حيث قائله، هل الحديث مرفوع إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، أم أنه موقوف على صحابي، أم أنه مقطوع أضيف إلى تابعي، ثم تضيف وجوب الاستعانة بعلوم شارحة للمتن مثل الغريب وأسباب الورود ومشكل الحديث ومختلفه، وفقه الحديث، لإعطاء فكرة عن المقصد النبوي، وأخيرا تشير إلى الاستعانة بعلوم تهتم بمقابلة المرويات للوصول إلى شواهد الحديث ومتابعاته، وكل هذه العلوم للتأكد من صحة النقل وسلامته من العيوب.

والحق يقال أن هذه العلوم تساعد على فقه الحديث وشرحه، ومعظمها من العلوم الخاصة بالشرح الحديثي، وهكذا فالعلوم تكامل بعضها فلا يمكن التأكد من صحة النقل دون الفهم السليم للمنقول، فرغم أن مشكل الحديث ومختلفه وغريبه تهتم بالألفاظ وتساعد على رد التعارض بين الأحاديث إلا أنها كما تدخل في الفقه والفهم إلا أنها لامحالة تساعد على التأكد والتوثق من صحة المنقول عن الرسول عليه السلام وصحابته والتابعين رضوان الله عليهم.

المبحث الثاني: علاقة الحديث الموضوعي بعلوم الدراية

يعرف صبحي الصالح علم الحديث دراية فيقول:"وعلم الحديث دراية، مجموعة من المباحث والمسائل يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد"[3]، فهذه الدراسة تهتم بالحديث من خارجه، أي بناقليه الذين أوصلوا لنا الحديث هل هم أهل للرواية ويمكن الوثوق في نقلهم أم لا.

ثم يشير صبحي الصالح للحاجة إلى علم الدراية وعلم الرواية معا فيقول بأسلوب معاصر:"وإن دراستنا لمتن الحديث، وعنايتنا بحفظ كتب الرواة، ليست شيئا إن لم تكن مقترنة بعلم دراية الحديث، الذي هو الدراسة التاريخية التحليلية لأقوال الرسول العظيم وأفعاله"[4]، وهذه الدراسة التاريخية هي مثل الدراسة التوثيقية التي يعتمدها علم التاريخ للتأكد من الوثائق التاريخية التي بحوزة المؤرخ هل نسبتها إلى ذلك العصر سليمة لا غبار عليها أم أنها لا تمت بصلة إلى عصرها ومصدرها، لكنها دراسة خارجية وداخلية، فعلوم الحديث رواية هي علوم تهتم بالمحتوى الداخلي للحديث من حيث الضبط والسلامة من التحريف، وعلوم الدراية تهتم بالجانب الخارجي للتأكد من صحة الوثيقة التي وصلت

[1] سيد عبد الماجد الغوري، موسوعة علوم الحديث وفنونه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1: 1428هـ-2007م، ج2/ص168.
[2] لطيفة الراشد، المرجع السابق، ص39.
[3] صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، ص107.
[4] صبحي الصالح، المرجع السابق، ص108.

إلينا بمعنى صحة النص الحديثي الذي وصل إلينا، خاصة بالنظر إلى الرواة الذين نقلوا هذه المرويات، وعلم الدراية يهتم بالدراسة الداخلية وهدفه ووسائله ليس أهداف ووسائل علم الحديث رواية، فهو إن اهتم بالدراسة الداخلية فذلك للتأكد من صحة النقل من الداخل بالنظر إلى محتواه من غريب أو مشكل أو مختلف، فهذه الدراسة الداخلية للتأكد من صحة النقل لا للضبط، فالضبط من اختصاص الرواية وصحة النقل من اختصاص الدراية.

أما علم الدراية فيقول عنه سيد ماجد الغوري صاحب موسوعة علوم الحديث وفنونه:"علم يتعرف منه أنواع الرواية وأحكامها، وشروط الرواة وأصناف المرويات، واستخراج معانيها، ويحتاج ما يحتاج إليه علم التفسير من اللغة، والنحو، والتصريف، والمعاني والبديع والأصول، ويحتاج إلى تاريخ النقلة..."[1]، إن احتياج علم الدراية إلى اللغة والنحو والتصريف والمعاني والأصول وغيرها ليس هدفه التحليل والاستنباط المتوسع وإنما هدفه الفهم لأنه لا تحقق من النقل إلا بعد الفهم السليم، فالفهم السليم للمنقول يساعد على التأكد من صحة نقله.

والحقيقة أن هناك من يصف علمي الحديث رواية ودراية بأنهما بعيدان عن الشرح والفهم، وهذا صحيح في بعض جوانبه لكنه بعيد من جوانب أخرى لأن الفهم هنا هدفه التحقق من نقل المرويات، وليس الاستنباط واستخراج الأحكام فهذا مجاله الشرح الحديثي وكتب أحاديث الأحكام خاصة، وللرد على الذين يتهمون علم الدراية بالقصور على النقل فقط دون الفهم يرد صاحب هذه الموسوعة فيقول بعد نقله لتعاريف عدة لعلم الحديث دراية:"وفي هذه التعريف رد على من زعم أن علم الحديث قاصرا على نقل الأخبار المجردة التي أضيفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتقريرا دون الخوض في فقهه"[2].

ومن العلوم البارزة في مجال علوم الحديث دراية نذكر مايلي:

1/علم الجرح والتعديل: علم يبحث في الرواة من حيث ما يزكيهم أو يشينهم باستعمال مصطلحات خاصة بأهل هذا العلم[3].

2/علم رجال الحديث يهتم بمعرفة تاريخ رواة الحديث، وأول من اشتغل به الإمام البخاري[4].

3/علم مختلف الحديث وهو علم ينظر ويبحث في الأحاديث التي ظاهرها التناقض فيبحث عن الجمع والتوفيق بينها سواء بالتخصيص أو التقييد أو حملها على تعدد الحوادث وأسباب الورود، وأول من الف في هذا العلم الإمام الشافعي[5].

4/علم علل الحديث، وهذا من العلوم الجليلة حيث لا يتقنه غلا جهابذة المحدثين ويبحث في الأسباب الغامضة الخفية التي تقدح في صحة الحديث، وممن كتب فيه ابن المديني شيخ البخاري[6].

---

[1] سيد عبد الماجد الغوري، المرجع السابق، ج2/ص168.
[2] المرجع نفسه، ص168-169.
[3] ينظر: صبحي الصالح، المرجع السابق، ص109-110، وسيد عبد الماجد الغوري، المرجع السابق، ج1/ص596.
[4] ينظر: صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص110-111، وسيد عبد الماجد الغوري، المرجع نفسه، ج2/ص127.
[5] ينظر: صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص111-112، وسيد عبد الماجد الغوري، المرجع نفسه، ج3/ص206.
[6] ينظر: صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص112، وسيد عبد الماجد الغوري، المرجع نفسه، ج2/ص481.

المبحث الثالث: علاقة الحديث الموضوعي بالحديث التحليلي

الشرح الحديثي مصطلح جديد إلى حد ما، جاء في تعريفه مثلا قول صالح عومار:"ونعني بالشرح الحديثي: بيان المعنى العام للحديث، وعناصره الأساسية، وما يرشد إليه من أحكام وفوائد، وقيم وهدايات"[1]، وهذه الدراسة التاريخية تبرز أهمية الشرح الحديثي وأصالته، وأنه بدأ مبكرا مع تدوين السنة النبوية والاهتمام بشرح غريبها، وهي الألفاظ والكلمات المبهمة في الحديث النبوي، فقد بدأ الاهتمام بالغريب خلال القرن الثاني للهجرة.

الحديث التحليلي أو الشرح الحديثي منهج لشرح الحديث النبوي، هذا المنهج لم يلق الاهتمام الكبير في التنظير، وهذا لا يعود إلا إلى الغفلة عن البعد التنظيري في العلوم لدى المسلمين، رغم أن الأوائل من علمائنا قدموا جهودا معتبرة في بيان العديد من العلوم المرتبطة بالشرح الحديثي خاصة ما ذكرناه من قبل من علوم الرواية والدراية. ولا أدل على انعدام التنظير للحديث التحليلي والشرح الحديثي عدم وجود هذه المصطلحات في موسوعة علوم الحديث وفنونه للغوري رغم أن هذه الموسوعة الحديثية معاصرة وليست قديمة أثرية من غابر الازمان، وما تجده في هذه الموسوعة هو مصطلح شروح الحديث، فماذا يقول عنها صاحب الموسوعة، قال:"اهتم العلماء بشرح الحديث النبوي في فترة مبكرة تعود للقرن الرابع، فشرحوا غريب ألفاظه، وبينوا معانيه، وتكلموا على أسانيده من حيث الصناعة الحديثية، وبينوا ما يستنبط منه من أحكام وما يستفاد منه"[2]، فالشرح الحديثي بدأ مبكرا واستوى على سوقه في القرن الرابع الهجري، وهو يستخدم أدوات معينة، وهدفه بيان معاني الحديث واستخراج الأحكام الفقهية وغيرها من الدروس والعظات، وهكذا فالشرح الحديثي رغم قدمه إلا أن التنظير له كمنهج علمي يعتمد التحليل والاستنباط ضعيف حتى أنك لن تجد ذكرا لمصطلحي الشرح الحديثي والحديث التحليلي إلا نادرا.

وكما لم يتحدث الزيان عن الحديث التحليلي في علاقته بالحديث الموضوعي، نجد لطيفة الراشد تهتم بعلاقة الدراسة الموضوعية بالعلوم العربية والإسلامية لكنها لم تشر إلى الحديث التحليلي[3]، ورغم أن خالد الشرمان الذي لم يشر إلى مصطلح الحديث التحليلي فقد نجد له عذرا في أنه تحدث عن لوازم دراسة الحديث وهنا أشار إلى دور المحدث في فقه الحديث كما تحدث عن ضوابط فهم السنة، وكلها تدخل في مجال الشرح الحديثي، فلا بد من أن يكون هذا الفهم والفقه منضبطا بقواعد اللغة العربية ودلالة السياق ومقاصد الشريعة[4].

تشير سعاد بيطاط إلى الشرح الحديثي في علاقته بالحديث الموضوعي حيث تعتبره خطوة من خطوات الحديث الموضوعي فتقول في الخطوة الثالثة:"شرح نصوص الأحاديث واستنباط معانيها ومقاصدها بالوقوف على سبب الورود إن وجد، وآثار الصحابة واقوال العلماء..."[5]، وهكذا فعلاقة الشرح الحديثي بالحديث الموضوعي علاقة عضوية حيث لا يمكن الفصل بينهما فما الحديث

---

[1] صالح عومار، **الشرح الحديثي دراسة تاريخية**، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ط:2018م، العدد 43، ص193، ينظر الرابط التالي:
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/33625.

[2] سيد عبد الماجد الغوري، المرجع السابق، ج2/ص263.

[3] لطيفة الراشد، المرجع السابق، ص41.

[4] ينظر: خالد محمود الشرمان، المرجع السابق، ص113-141.

[5] سعاد بيطاط، المرجع السابق، ص170.

الموضوعي إلا شرح لمجموعة أحاديث يعمل الباحث بالتنسيق بينها للخروج بتصور عام عن موضوعها.

الحديث التحليلي ركيزة أساسية يعتمد عليها الحديث الموضوعي، فالدارس للأحاديث موضوعيا لابد أن يستعين بما أنتجه الشرح الحديثي من آراء وأفكار وطروحات لتساعده على فهم الأحاديث النبوية موضوعيا لا جزئيا، فنظرة الشارح الحديثي جزئية تركز على حديث واحد، أما نظرة الموضوعي فتحاول التنسيق والنظر بشمولية لجميع الأحاديث التي لها علاقة بالموضوع.

تذكر سعاد بيطاط من مصادر الحديث الموضوعي الكتب المساعدة على جمع الأحاديث خاصة منها كتب الفهرسة الحديثية، ثم تضيف بعدها كتب الحديث رواية وشروحها، وهذا خاص بالكتب والمصادر القديمة، ولكنها لا تكتفي بذلك بل تضيف إليها كتب الشرح الحديثي المعاصرة، وتسميها المراجع الحديثة، قالت:"وهي كتب ألفت في العصور المتأخرة اعتنت بشرح الحديث لبيان الحكم والمقاصد المستنبطة منه وتطبيقها على الواقع العملي الحاضر للمسلم"[1]، وتضرب لذلك مثالا بمجالس التذكير من كلام البشير النذير لعبد الحميد بن باديس.

[1] سعاد بيطاط، المرجع السابق، ص174.